الخطاب التوجيهي في المقامات الأدبية (المقامة الدينارية للحريري أنموذجاً)

The guiding speech in literary maqamat (the Dinari maqamat by Hariri as a model)

د. سمية حسنعليان(*)

Dr. Somayeh Hassanalian

s.hassanalian@fgn.ui.ac.ir

الملخص:

إن في التراث العربي عدد كبير من النصوص الأدبية المهمة التي لفتت انتباه الدارسين والباحثين إذ قاموا بدراستها من مختلف جوانبها وكشفوا عن حقائقها وأسرارها وأسباب ذيوع صيتها في الآفاق ومنها المقامات الأدبية المشهورة المعروفة بـ(مقامات الحريري) للعالم الشهير أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي (ت ٥١٦ هـ).

ولعل من أحدث المناهج العلمية التي جعلت تحليل النص الأدبي شيئا مهماً في علم اللغة، مايُطلَقُ عليه (**التداولية**) التي تُعَدُّ منهجاً في تحليل الخطاب أكثر منه اتجاهاً نقدياً، لضمها كل الاتجاهات الأخرى كالنقد النفسي والاجتماعي وما الى ذلك من الأمور المرتبطة بتلك الإتجاهات، إذ تستفيد التداولية منها في صياغة التأويلات الممكنة لنص ما ؛ لأنها تتعامل مع اللغة في بعدها التخاطبي ـ التواصلي وتكشف عن القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي.

وانسياقا مع هذه المفاهيم، ينطلق هذا البحث من افتراضات مسبقة تدور في مجملها حول إمكانية التحليل التداولي لنص قديم، وقد تمَّ اتخاذ المقامات الحريرية فضاءا تطبيقيا لتلك المفاهيم من خلال استخدام المنهج الوصفي ـ التحليلي في عرض الموضوع على بساط البحث والمناقشة.

إن هذا النص – مقامات الحريري - ينتمي إلى الخطاب النثري وتحديدا النثر العباسي، لكنه على العموم ليس نثرا بحتاً، بل نثر جمع بين الشعر والنثر وفيه سمات تجعل قوة الشعرية فيه تزداد قوة وشدة، والخطاب التوجيهي الذي نحن بصدد دراسته وتطبيقه في المقامات يُعَدُّ من أهم الاستراتيجيات التي تتوفر فيه عدة مقومات لدعم عملية التوجية وكذلك عدة وسائل لغوية منها مثل: الأمر، النداء، الاستفهام وما الى ذلك من المفاهيم الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الحريري، المقامة الدينارية، التداولية، النص الأدبي، الخطاب التوجيهي.

(*) الأستاذ المشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان.

Abstract

In the Arab heritage there is a large number of literary texts that have attracted the attention of scholars and researchers as they studied it from its various aspects and revealed its facts and secrets and the reasons for its popularity in the horizons ,including the famous literary shrines known as) Maqamat al-Hariri (by the famous scholar Abu Muhammad al-Qasim bin Ali bin Muhammad bin Othman al-Hariri Al-Basri Al-Harami) d 516.AH .(Perhaps one of the most recent scientific approaches that made literary text analysis an important thing in linguistics is what is called) deliberative ,(which is considered a method of discourse analysis rather than a critical one ,because it includes all other trends such as psychological and social criticism and so on. Deliberative ones in formulating possible interpretations of a text ;Because it deals with language in its communicative-communicative dimension and reveals the human capabilities of linguistic communication .In line with these concepts ,this research starts from previous assumptions about the possibility of deliberative analysis of an ancient text ,and the Hariri maqamat was taken as an application space for those concepts through the use of the descriptive-analytical approach in presenting the topic on the ground of research and discussion .This text - Maqamat Hariri - belongs to the prose discourse and specifically the Abbasid prose ,but in general it is not a purely prose ,rather it is a prose that combines poetry and prose and has features that make the power of poetry in it increase in strength and intensity .Strategies in which there are several ingredients to support the orientation process ,as well as several linguistic means ,such as :command ,appeal ,interrogation ,and so on other concepts.

Key words: Hariri, the Dinaric Maqamah, deliberative, literary text, the guiding speech.

١. المقدمة:

لقد تعددت وجهات النظر في العصر الحديث في تحليل النصوص الأدبية إذ لم تَعُد تقف عند حدود ضيقة، إذ ظهرت مناهج حديثة في هذا المجال، ولعلَّ من أحدث المناهج التي تهتم بتحليل النصوص وتستند إلى اللسانيات هو تحليل الخطاب، فهذه المناهج ظهرت بعد المناهج الأخرى المعتمدة على اللسانيات في تحليلها كالبنيوية والشكلانية والأسلوبية، رغم أن كل تلك المناهج تهدف إلى تقريب النصوص الأدبية إلى العلمية والموضوعية أكثر. وكل منهج ظهر بعد آخر ليسد ثغرات ما قبله ونقائصه فظهرت التداولية بعد البنيوية لتكون لها بديلا وخلفا.

ولقد تعددت المصطلحات التي تحيل إلى المفهوم التداولي وكأن هناك فوضى قد حدثت في هذا الحقل ومن ذلك مايأتي:

- البراغماتية.
- الذرائعية.
- التداوليات.
- علم التداول.
- علم المقاصد.
- السياقية.
- المقامية.
- علم التخاطب.
- التداولية.

على الرغم من أن التداولية أصبحت الأكثر شيوعا في اللسانيات الحالية، فالتداولية كمنهج لتحليل النصوص ترتكز على تحليل عملية التلفظ، إذ أن الخطاب قبل كل شيء هو النشاط التلفظي، وانسياقا من هذا ظهرت سمة هذا المنهج في التحليل كما ظهر إجماع في تعريفها بأنها دراسة الكلام.

من جهة أخرى فإن من النصوص الأدبية التي أصبحت مثاراً لاهتمام كثير من الباحثين طوال العصور المضية ولم يخبو أثرها بل ظلت تتألق في سماء الأدب العربي بألفاظها الناصعة وأسلوبها الخلاب في جذب الأسماع والأفئدة تلك النصوص التي اشتهرت باسم (المقامات)، ومن الجدير بالذكر أن المقامات رأت النور في القرن الرابع الهجري على يد أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف باسم بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٥ هـ) وهو أول من أطلق اسم المقامة على هذا الفن، إلا أن مما لاشك فيه أن هناك إسمين لامعين أسهما الى جانب الهمذاني في تأسيس هذا الفن وهما:

* أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ): والذي وضع ٤٠ مقامة تم اعتبارها الأساس لفن المقامات وقد سبق ابن دريد الهمذاني في هذا الفن.

*أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ هـ) الذي يُعتقَدُ بأنه أول من كتب المقامات وأن بديع الزمان الهمزاني قد اشتق منه هذا الفن.

(الجوهر، ١٩٦٥ م، ١٦)

ومهما يكن من أمر من له السبق في كتابة المقامات فإن هذا الفن قد بلغ ذروته على يد

الحريري، وشيئاً فشيئاً تطور هذا الفن وانتشر إذ ظهر على مسرح هذا الفن كُتّاب كثيرون قلدوا المتقدمين وبخاصة الهمذاني والحريري فيما ذهبا إليه من أسلوب شيق في الكتابة، إذ بلغ عدد هؤلاء الكتاب العشرات نذكر منهم الأسماء الآتية:

* أبو فراس طراد بن علي بن عبد العزيز السلمي المعروف بالبديع الدمشقي (ت ٥٢٤ هـ).
* جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)
* أبو اطاهر محمد بن يوسف السرقسطي التميمي (ت ٥٣٨ هـ).
* شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي (٥٨٧ هـ).
* شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني المعروف بالشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ).
* أبو الندى معد بن نصر الله بن رجب البغدادي المعروف بابن الصيقل الجزري (ت ٧٠١ هـ).
* شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ).
* أبو الفيض أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد البَرْبِير الحسني (ت ١٢٢٦هـ).
* نقولا بن يوسف الترك الإسطمبولي (ت ١٢٤٤هـ).
* حسن بن محمد بن محمود العطار (ت ١٢٥٠هـ).
* محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ).
* أحمد فارس بن يوسف بن يعقوب بن منصور الشدياق (ت ١٨٠١م).
* ناصيف بن عبد الله بن جنبلاط بن سعد اليازجي (ت ١٨٧١م)
* إبراهيم الأحدب إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي (ت ١٨٩١م)

(الكك، ١٩٦٠ م، ٤٥).

من هذا المنطلق يستهدف هذا البحث دراسة المقامات الحريرية بمنظور تحليل الخطاب ليحقق **الأهداف** الآتية، من خلال القراءة التأويلية في ضوء هذه الأفكار الجديدة:

* دراسة نص أدبي قديم نفيس من منظور منهج جديد.
* الكشف عن استراتيجيات الخطاب التوجيهي في خطاب المقامات الحريرية.
* معرفة مدى قدرة النظرية الحديثة في التحليل اللساني على التعامل مع الخطاب في نص قديم.

وأما **المنهج** الذي توخاه البحث فهو المنهج (الوصفي ـ التحليلي) كما أننا قد أخذنا على عاتقنا الاستناد إلى المفاهيم الإجرائية للتحليل التداولي للخطاب بالمراجعة إلى المراجع التي تمثل المنهج التداولي، وتكمن أهمية هذا المنهج في رؤيته إلى النص أو الخطاب بشكل أكثر شمولية.

أما بالنسبة إلى **خلفية البحث** فلا يفوتنا أن ننبه على أن هذا البحث فيه نوع من الجدة إذ أن الدراسات التطبيقية في هذا المجال محدودة فلا نكاد نعثر إلا على القليل منها مثل:

(*) بلاغة الخطاب الإقناعي لمحمد العمري.

(*) البلاغة والاتصال لجميل عبد المجيد.
(*) الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة.
(*) إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري وآخرون.

والملاحظة المهمة في هذا المجال أن حظ الدراسات القرآنية في مثل تلك الدراسات كانت أوفر حظاً، أما فيما يخص دراستنا فإننا لم نعثر على دراسة تطبيقية في المقامات الحريرية فضلا عن دراسة متخصصة في المقامة الدينارية.

٢. التداولية والخطاب التوجيهي:

ورد في تعريف الخطاب بأنه: «الكلام الذي يقصد به الإفهام إفهام من هو أهل للفهم والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا» (الكفوي، ١٩٩٨م، ٤١٩)، والظاهر من هذا التعريف أن التواصل وليد الخطاب، ويُعرّف الخطاب عند المحدثين بأنه كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا (الرويلي والبازغي، ٢٠٠٢ م، ١٥٥)، ومما لا شك فيه أن هناك عدة خصائص وسمات للخطاب منها المجتمعية والتوجيهية والفعل والتأثير والتفاعلية والسياقية وغير ذلك من السمات (موميد، ٢٠٠٧ م، ٨٧)، وكأن هذه الأسيقة المقامية المتنوعة لها الأثر الكبير على الخطاب بوصفه نسقا تفاعليا.

أما التداولية فلا نحصل على هذا المصطلح أو الإشارة إليه في المعاجم العربية القديمة على الرغم من أنهم تناولوا فعل «دول» الذي اشتقت منه التداولية، فمثلا يقول صاحب لسان العرب: «دول: الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة، بالضم، في المال، والدولة، بالفتح، في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما، يضمان ويفتحان، وقيل: بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا، وقيل: هما لغتان فيهما، والجمع دول ودول... يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول. وقال أبو عبيد: الدولة، بالضم، اسم للشيء الذي يتداول به بعينه، والدولة، بالفتح، الفعل» (ابن منظور، دول).

كما نجد في القاموس المحيط: «تداولوه: أخذوه بالدول ودواليك أي مداولة على الأمر أو تداول بعد تداول» (الفيروزآبادي، ١٩٩٥م، دول).

وبالرجوع إلى المعاجم الأخرى نلاحظ أنها لم تخرج عن الإطار الذي أتى به ابن منظور عنها في لسان العرب.

ومن معاني التداول ما تأخذه الأيدي هذه مرة وتلك أخرى ولا يقتصر الأمر عليها وإنما ينتقل إلى الأمر المناقش بين الناس، ويكون تداول الكلام جامعا لمعنيي التواصل والتفاعل في مدلول النقل والدوران ويتمظهر التفاعل في مدلول النقل والدوران في استخدامهما التجبي على معنى الحركة بين الفاعلين (عبد الرحمن، ٢٠٠٥ م، ٢٤٣).

أما تعريف التداولية من منظور إصطلاحي فقد تعددت تعاريفها وسوف ننقل البعض منها هنا: «التداولية هي دراسة الاتصال اللغوي في السياق، أو هي مجموعة البحوث اللسانية المنطقية التي تهتم بدراسة استعمالات الكلام

وتبحث في مطابقة الأشكال الدالة للسياقات المرجعية ؛ أو هي نسق معرفي استدلالي يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية ؛ أو هي دراسة استعمالات الكلام كظاهرة استدلالية وتداولية واجتماعية في الوقت ذاته...» (ينظر: ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤ م، ٢٢ ؛ صحراوي، ٢٠٠٤ م، ٢٥).

كما ورد في تعريفها أنها: «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية وهو خط تحليل اللغة العادية حيث تهتم ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها» (أرمنكو، ١٩٨٦م، ٧).

وقد ذكر ابن ظافر الشهري في كتابه إستراتيجيات الخطاب، إلى أن الخطاب أي خطاب كان ماهو إلا نتيجة لاستراتيجية معينة ولتوليده يجب أن يمر بثلاث مراحل هي:

١. إدراك السياق الذي يجري فيه التواقل بكل أبعاده المؤثرة.

٢. تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة ليتم اختيار الإستراتيجية الخطابية الملائمة.

٣. التلفظ بالخطاب

(ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٦٣).

إذ أن الخطاب التوجيهي يرتبط بجانب من جوانب التواصل التفاعلي لتوجيه يتعلق في أساسه بوجود طرفين تتحدد العلاقة بينهما تبعا لنوعية الخطاب المنتج الذي غالبا ما يبنى على ما يشير لفعل التوجيه وتسهم العلاقة بين طرفي الخطاب إلى حد بعيد في الكشف عن مقصدية الخطاب محددة إذا ما كان توجيها أو أمرا أو نهيا أو التماسا (ابن علي، ٢٠١٧ م، ١١، نقلا عن شيتر، ٢٠٠٩ م، ٥٠).

٣. الحريري ومقاماته الأدبية:

كان أبو محمد محمد بن القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري الحرامي البصري (ت ٥١٦ هـ) من أدباء البصرة، وكان الرجل عالما بكثير من العلوم العربية والدينية كالفقه والحديث واللغة وغيرها من العلوم، وكان الحريري من ذوي اليسار فضلا عن علمه الواسع، وقد ترك الحريري عدة مؤلفات كان من أهمها:

- المقامات التي ألفها على غرار بديع الزمان الهمذاني.
- درة الغواص في أوهام الخواص الذي بين فيه أغلاط الكتاب فيما يستعملونه من لألفاظ بغير معناها في غير موضعها.
- كتاب ملحة الأعراب في صناعة الإعراب وهي أرجوزة شعرية.
- رسالتان السينية والشينية اللتان التزمتا بالحرفين السين والشين ولم تخلوا منهما.

وقد ظل الحريري في البصرة موضع تقدير أهل العلم، وجاء وضعه للمقامات فارتفعت منزلته وازدادت مكانته حتى توفي في السادس من رجب سنة ٥١٦ هجرية (يُنظر: الحموي، ١٩٨٠م، وابن خلكان، ١٩٧٧م).

أما المقامة لغة فهي: «موضع القدمين

والمقام والقامة بالضم الإقامة والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس... واستعملت الكلمة مجازا لتعني القوم الذين يجلسون في المجلس... ومثل هذا تسميه العرب جماعة من الناس نديا،... ووردت كذلك في القرآن اسما لموضع القيام كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة ٢: ١٢٥]، كما استخدمت لتعني الحديث الذي يدور في المجلس إضافة إلى مدلولها على ما يقام من خطبة أو عظة أو ما شابهها وتعني كذلك مجلس السادة» (ابن منظور، قوم). وكانت المقامة تَدلُّ على القصص والمواعظ والأحاديث حتى تبلورت أخيرا في شكلها الفني عند بديع الزمان الهمداني في القرن الرابع للهجرة فأصبحت مجموعة حكايات قصيرة جمعت بين النثر والشعر و«أصبحت مصطلحا أدبيا كانت تطلق على نوع من الكتابة الفنية على شكل أقصوصة منمقة في ألفاظها وأسلوبها فيها شيء من الحوار وتعتمد في الغالب على راوٍ واحد وبطل أديب محايد يراد بها وصف حالة نفسية أو مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو قضية علمية وتنطوي على لون من ألوان النقد أو التهكم والسخرية أو التصحيح والتقويم أو الثورة» (رشيد، ١٩٨٩م، ٣٢٧).

ومع أن كُتّاب المقامات قد ازدادوا طوال العصور المختلفة بعد بديع الزمان إذ عُرِفَ هذا الفن رواجا كبيرا وغزى كل البلدان وأصبحت منتشرة الصيت واستمرت في الوجود حتى عصرنا الحاضر، إلا أن جميع دارسي المقامات المختلفة قد أثنوا على الحريري ومقاماته وقدرته اللغوية الهائلة وتفننه في الأساليب إذ قيل: «لم يبلغ كتاب من الكتب ما بلغته هذه المقامات التي أبدع إنشاءها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري من نباهة الذكر وبُعد الصيت واستطارة الشهرة» (الشريشي، ١٩٦٩م، ١: ٣).

كتب الحريري خمسون مقامة وزين كتابه بذكر مقدمة وخاتمة، إذ ذكر في المقدمة هدفه من إنشاء هذه المقامات مشيرا إلى فضل بديع الزمان عليه وسِبقِه في هذا المضمار فقال: «فأشارَ مَنْ إشارتُه حُكْمٌ، وطاعَتُه غُنْمٌ إلى أنْ أُنْشِئَ مَقاماتٍ أتْلو فيها تِلْوَ البَديعِ، وإنْ لمْ يُدْرِكِ الظّالِعُ شَأوَ الضَّليعِ... هذا معَ اعْتِرافي بأنّ البَديعَ رحِمَهُ اللهُ سَبّاقُ غاياتٍ، وصاحِبُ آياتٍ وأنّ المُتَصَدّيَ بعدَهُ لإنْشاء مَقامةٍ، ولوْ أُوتيَ بَلاغَةَ قُدامَةَ لا يَعْتَرِفُ إلا مِن فُضالَتِه، ولا يَسْري ذلِك المَسْرى إلا بِدَلالَتِهِ»، إن هذا الكلام إن دل على شيء فإنما ليدلل على روح التواضع في هذه الشخصية الكبيرة.

ولعلّ من المفيد هنا أن نذكر أسماء المقامات الخمسين التي سطرها الحريري فهي على ترتيبها في كتابه كما يأتي: الصنعانية، الحلوانية، الدينارية، الدمياطية، الكوفية، المراغية، البرقعيدية، المعرية، الإسكندرية، الرحبية، الساوية، الدمشقية، البغدادية، المكية، الفرضية، المغربية، القهقرية، السنجارية، النصيبية، الفارقية، الرازية، الفراتية، الشعرية، القطيعية، الكرجية، الرقطاء، الوبرية، السمرقندية، الواسطية، الصورية، الرملية،

الطيبيــة، التفليســية، الزبيديــة، الشــيرازية، الملطيــة، الصعديــة، المرويــة، العمانيــة، التبريزيــة، التنيســية، النجرانيــة، البكريــة، الشتوية، الرملية، الحلبية، الحجرية، الحرامية، الساسانية، البصرية.

(يُنظر فــي تفاصيل المقامــات: الحريري، ٢٠١٢ م)

والمعــروف أن هدف الحريري من إنشــاء مقاماته إنما كان (الهدف اللغوي) وتعليم الناشئة اصطناع الأســاليب اللغوية والبلاغية، ولاغني عــن الذكر أن المقامات قد عرفت أنماط مختلفة مــن التلقي أبرزهــا هذه الأنمــاط الثلاثة وهي: «التلقــي الإحيائي والتلقي الاســتبعادي والتلقي التأصيلــي وفي كل حقبة تايخية تكون الســيادة والغلبــة لنمــط على آخــر... ففــي الأول يجهد المتلقي من أجل إحياء المقامات وبعثها تفســيرا وشــرحا وتحقيقا وطباعــة، وبعده يبــدأ التلقي الاســتبعادي كرد فعل للتلقــي الإحيائي مهيمنا على مســاحة القراءة منذ العقد الأول من القرن العشــرين، ومــا كاد العقد الســادس مــن القرن العشــرين يكتمــل حتــى لاح في الأفق تباشــير نمط جديد أســميناه بالتلقي التأصيلي» (كاظم، ٢٠٠٣م، ٤٩ بتصرف).

ومما لاشك فيه أن مشروع قراءة المقامات «مشــروع خطر ومليء بالمجازفة فالشــارح محكوم عليــه بأن يتطرق إلــى ميادين متنوعة يكــون معجميــا حيــن يوضــح معنــى الألفاظ الغريبــة ويكــون جغرافيــا حين يصادف اســم مكان، ومؤرخا حين يصادف شخصية تاريخية ويكون بلاغيا حين يسمي الصور البلاغية...» (كيليطو، ١٩٩٣م، ١٦٥).

والذي يهمنا في بحثنا هذا هو المقامة الثالثة من مقامــات الحريــري والمســماة ب(المقامة الدينارية) وفيها يمــدح الحريريّ الدينار على لســان المكــدي مرة ثــم يذمّه مرّة أخــرى. وقد وضــع الحريري ذلك الحوار على شــكل أبيات شعرية كانت في غاية الروعة.

٤. الخطــاب التوجيهــي فــي المقامة الدينارية للحريري:

ســندرس في هذا القســم من البحث المقامة الدينارية بالمنهــج التداولي علــى وجه العموم والخطــاب التوجيهــي على وجــه الخصوص، وسنشير إلى أهم النقاط في هذا المجال:

٤. ١. من الوسائل اللغوية في الخطاب التوجيهي مايأتي:

النداء:

فالنــداء أداة تحفيزية تجعــل المخاطب يرد على المتكلم أو المرسِــل، وقــد اهتم البلاغيون بالنــداء في الأدب العربي، وجمعت آراء النحاة على أن أحرف النداء نائبة مناب الفعل «أدعو» أو «أنــادي» وأن المنادى مفعول به في المعنى وناصبه فعــل مضمر (ابن عقيل، ١٩٩١م، ٣: ٢٣٤).

«رَوَى الحــارِثُ بْــنُ هَمّــامٍ قــالَ: نَظَمَني وأَخْدانــاً لي نــادٍ، لَمْ يَخِبْ فيــهِ مُنادٍ، ولا كَبا

قَدْحُ زِنادٍ، ولا ذَكَتْ فيهِ نارُ عِنادٍ ؛ فبَيْنَما نَحْنُ نَتَجاذَبُ أطْرافَ الأناشيدِ، ونَتَوارَدُ طُرَفَ الأسانيدِ ؛ إذْ وَقَفَ بِنا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ، وفي مِشيَتِه قَزَلٌ ؛ فقالَ: **يا** أخايِرَ الذَّخائِرِ، وبَشائِرَ العَشائِرِ» (المقامة الدينارية)

واضح أن المراد من النداء في هذه العبارة إقبال المدعو على الداعي ليتمكن من توجيه ما أراد ؛ ولولا هذا النداء لم يكن يلتفت الناس إليه لأنه كما وصفه الراوي شخص عليه سمل وفي مشيته قزل، وكان الناس مشغولين بالكلام بينهم عنه ؛ فهو أراد بهذا النداء أن يجذب انتباههم، ولا يفوتنا أن نذكر أن المتكلم (المنادي) أظهر براعته في البلاغة بتضمين كلامه المعنى الخفي الذي يربط بينه وبين مخاطبيه بالجوانب النفسية.

الاستفهام:

إن للطلب في اللغة العربية أساليب منها: الاستفهام، والإستفهام في «حقيقته الفهم، أو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، أو هو معرفة شيء مجهول، والاستفهام مصدر استفهم أي طلب الفهم، ويتمّ الاستفهام بأدوات تتصدر جملة الاستفهام» (عطية، ٢٠٠٧ م: ١٩)، ومن جانب آخر يمكن تعريف الإستفهام على أنه: «استعلام ما في ضمير المخاطب وقيل هو طلب الحصول على صورة الشيء في الذهن» (الجرجاني، ١٩٨٥م: ١٧).

قال الحريري على لسان الحارث لأبي زيد: «فجَرَّدْتُ لَهُ ديناراً آخَرَ وقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ في أنْ تَذُمَّهُ، ثُمَّ تَضُمَّهُ» (المقامة الدينارية)

هذا الاستفهام الذي استخدمه الحارث كان من ضمن الأسئلة المغلقة إذ لم يترك للمخاطب (أبي زيد) سبيلا إلا لأن يجيب عليه ولم يترك له حرية في اختيار الجواب لأن جوابه ينحصر بين خيارين وكأن السؤال توجه إلى الجواب أولا وإلى المحتوى ثانيا أي بعبارة أخرى في هذا السؤال توجيه المخاطب في الاطلاع على القضية أي ذمّ الدينار، وفي النتيجة اكتسابه.

وقال أبو زيد بعد شرح حاله وما فعل به الدهر والتغيرات التي حصلت في حياته وتحولت من الرفاهية إلى الشقاء والفقر ملقيا على مخاطبيه هذا السؤال: «فهل من حُرٍّ آسٍ، أو سَمْحٍ مُؤاسٍ» (المقامة الدينارية)

هذا الاستفهام أيضا فيه نوع من الخطاب التوجيهي للمخاطب إذ استخدمه المرسِل للتعبير عن قصده بشكل غير مباشر ولا ينتظر أن يرد عليه المخاطب بجواب «نعم» أو «لا» بل كأنه يناديه على وجه الحقيقة ولا يتطلب هذا السؤال الإجابة الصريحة ؛ بل المطلوب هو تحقيق ما طرحه المرسِل في السؤال على أرض الواقع من بذل المال له وإظهار الجود والكرم له !!

قال الحريري في موضع آخر: «فقُلْتُ: أنَا الحارِث، فكَيْفَ حالُكَ والحوادِث» (المقامة الدينارية)

في الحقيقة الاستفهام باعتباره نمطا أسلوبيّا، يُعَدُّ أحد أكثر أساليب الطلب استخداماً وعنايةً وله أهميّة بالغة في اللّغة العربيّة

إذ «تكمـن أهميّتـه في الـدور الّـذي يؤديه في عملية التواصل بين البشـر ووظيفتـه التبليغية والحجاجيـة، وإذا كان معلومـاً أنَّ التواصل لا يتمّ إلّا اسـتناداً إلى تخاطب، فإنَّ الاستفهام أبرز أدوات هذا التخاطب، لأنّه يجسد دورة التخاطب حيث يتوافر على مرسل ومرسل إليه ورسالة» (عيدة، ٢٠١٢ م: ٢٣).

ولعل الاسـتفهام الذي ورد في الجملة أعلاه يؤكـد على هذه الأهمية وهـذا الدور التواصلي وبخاصـة أنـه يتجلى في أسـلوب الحـوار بين المرسل والمرسـل إليه ؛ لأنه من تبيين التوجه للخطاب الذي يربط بين الأنا الفاعلة وأنا الآخر تظهـر لنا أهميـة الحوار بوصفه نشـاطاً تبرز فيه الاسـتعمالات اللغوية فـي إطار تفاعلي بين المبدع والمتلقي وقد اهتمت المقامات الحريرية بالعتبـة الحوارية كثيرا وهذا جلـي في الألفاظ الدالة علية من مثل «قال، قلت، أخبرني، سألت و...».

مـن نمـاذج الحوار فـي المقامـة الدينارية مانعرضه في النماذج الآتية من هذه المقامة:

- «رَوَى الحـارِثُ بْـنُ هَـمّامٍ قـالَ: نَظَمَني وأخْداناً لي نادٍ، لَمْ يَخِبْ فيهِ مُنادٍ..».
- « وقالَ: أنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَدَ، وسَـحَّ خالٌ إذْ رَعَـدَ ؛ فنَبَذْتُ الدّينارَ إلَيْـهِ، وقُلْتُ: خُذْهُ غَيْـرَ مَأْسـوفٍ عَلَيْـهِ ؛ فوَضَعَـهُ في فيـهِ، وقالَ: بارِكِ اللّهُمَّ فيـهِ».
- « فقُلْتُ لَـهُ: ما أغْزَرَ وَبْلَكَ، فقالَ: والشَّرْطُ أمْلَكُ».

(يُنظر: الحريري: المقامة الدينارية)

في الحقيقة أن الحريري المبدع يتواصل في هذه النصوص مـع المتلقي بنصه في المقامات ويتم هذا التواصل عبر تواصل آخر موجود في النـص وذلك ما يجري بين السـارد (الحارث) والبطل (أبو زيـد) وهذه التخاطبات في الغالب تمتلـك آلية تضمينية تتيح للمتلقي كشـف بعض مقاصـد المبـدع، وكأن هذا الحـوار يفتح أمام المتلقي الآفاق المعرفية الجديدة ليصنع المتلفي فهماً جديدا وبآليات معرفية مختلفة ينوع قرائاته لنص المقامات.

ولعـل مـن أهـم الآليـات التي اسـتخدمها الحريري على لسـان الشـخصيات سـواء في مقاماتـه كافة أم في مقامتـه الدينارية هو عملية تنشـيط العتبة الحوارية من خلال الاستفسار أو عملية طرح السؤال، كما مضى في كلامنا عن الاستفهام في المقامة الدينيارية.

الأمر:

إن الأمـر تقنيـة مـن تقنيـات الخطـاب التوجيهـي «إذا كان الاسـتعلاء ممن هو أعلى رتبـة من المأمور اسـتتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة وإلا لم يستتبعإذا صادفت هذه أصل الاسـتعمال بالشـرط المذكور أفادت الوجـوب وإلا لم تفد غير الطلـب ثم إنها حينئذ تولد بحسـب قرائن الأحوال ما ناسب المقام إن استعملت على سبيل التضرع كقولنا اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء وإن اسـتعملت على سبيل

التلطف كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبه افعل بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه وإن استعملت في مقام الإذن كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله ولدت الإباحة وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ولدت التهديد»
(السكاكي، ١٩٨٧م، ٣١٩).

وقد وردت كثير من أفعال الأمر في المقامة الدينارية منها ماورد مثلا في هذه الفقرة: «عِموا صَباحاً، وأنعِمُوا اصْطِباحاً ؛ وانْظُروا إلى مَنْ كان ذا نَديٍّ ونَدىً، وجِدَةٍ وجَداً ؛ وعَقارٍ وقُرىً، ومَقارٍ وقِرىً ؛ فما زالَ بِهِ قُطوبُ الخُطوبِ، وحُروبُ الكُروبِ ؛ وشَرَرُ شَرِّ الحَسودِ، وانْتيابُ النُّوَبِ السّودِ ؛ حتى صَفِرَتِ الرّاحَةُ، وفَرَغَتِ الساحَةُ»
(المقامة الدينارية).

إن الفعلين (عموا وأنعموا) استخدمهما المرسِل أي الحريري على لسان البطل أبي زيد مواكبا سلطة المرسل قاصدا التوجيه إذ تظهر في الأفعال سلطة العلم والمعرفة وكأن المرسل امتلك من الخلفية ما اعطاه السلطة في حد ذاته إذ استخدم صيغ صريحه للأمر، وأما فعل الأمر (انظروا) هو كذالك من الصيغة الصريحة وطلب النظر على وجه الندب والإرشاد ونلاحظ أن في هذا الخطاب الذي ورد في هذه الفقرة تعليمات هامة وهي التنبيه على تغيير أحوال الناس في الدنيا وأن الظروف دائما تتغير.

وقد ورد في المقامة الدينارية مانصه: «وقالَ: أنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَدَ، وسَحَّ خالٌ إذْ رَعَدَ ؛ فنَبَذْتُ الدّينارَ إلَيْهِ، وقُلْتُ: خُذْهُ غَيْرَ مَأْسوفٍ عَلَيْهِ ؛ فوَضَعَهُ في فيهِ، وقالَ: بارِكِ اللّهُمَّ فيهِ» (المقامة الدينارية).

وقد تبين ذلك بعد أن أنشد البطل أشعاره وانتظر تحقق وعد الحارث له في إعطائه ما وعده مستخدماً هذا المثل «أنجز حر ما وعد» وكان قصده الأمر ولكن جاء به في أسلوب خبري لينجز من خلاله فعل التوجيه.

كما يتضح ذلك في آخر المقامة عندما تجلى غدر أبي زيد ومكره على الحارث وسأله عن سبب تعارجه فأجاب:

فإنْ لامَني القَوْمُ قُلْتُ اعْذِروا	فلَيْسَ عَلى أعْرَجٍ مِنْ حَرَجْ

إذ استعمل الحريري فعل الأمر «اعذروا» وهو أمر صريح، ليدل من خلاله الفعل على أنه لا بد للحارث أن يقبل عذره فيما فعله وأن الصيغة لا تحتمل غير الوجوب وكأن القارئ يشعر بنوع من قلة الأدب لأبي زيد وكأنه أنتج خطابه في هذه الصورة ليشير إلى موقعه السلطوي وإن يشعره بنوع

الالتماس ولذلك ذكر الدليل في المصرع الثاني من البيت الشـعري مقتبسـا ماورد فيه من الآية القرآنية الكريمة: «لَيسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ» [النور ٢٤: ٦١].

ذكر العواقب:

إن «ذكر العواقب من الآليات المباشرة وبالتالي الصريحة وهذا ما يستعمله المرسل ليوجه المرسل إليه وفق ما يريده هو غير مكترث بمنفعته»

(ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤ م، ٣٦٢).

وهذا ما نلاحظه بصورة واضحة في أشـعار أبي زيد في الدينار الذي أشـار بصورة غير مباشـرة إلى النتائج والعواقب التي تترتب على حب الدينار ؛ ومن ذلك قوله:

وحُبُّهُ	عِنْدَ	ذَوي	الـحَـقـائِـقِ
يَدْعو	إلَى	ارْتِكابِ	سُخْطِ الخالِقِ

(المقامة الدينارية)

إذ ربـط الحريري على لسـان أبي زيد حب الدينار بارتكاب الإثـم وهو ذلك الأمر الذي يودي إلى سـخط الله تعالى وغضبه، وكأنه ينهى عن حب الدينار ولكن بشـكل غير صريح، ويمكن لنا أن نصل الى تلك الحقيقة من خلال الآتي:

لَوْلاهُ	لَـمْ	تُقْطَـعْ	يَمـينُ	سـارِقِ
ولا	بَدَتْ	مَظْلِمَةٌ	مِنْ	فـاسِـقِ
ولاَ	اشْمَأزَّ	باخِلٌ	مِـنْ	طـارِقِ
ولا	شَكَا	الـمَمْطولُ	مَطْلَ	العائِـقِ
ولاَ	اسْتُعيذَ	مِنْ	حَسـودٍ	راشِـقِ
وشَرُّ	ما	فيهِ	مِـنَ	الـخـلائِـقِ

أنْ	لَيْسَ	يُغْني	عَنْكَ	فِي	المَضايِقِ
إلاّ	إذا	فَرَّ	فِرارَ	الآبِـقِ	

(المقامة الدينارية)

وقد أشار الحريري على لسان أبي زيد هنا إلى النتائج السيئة لاهتمام الناس البالغ بالدينار إذ وقف كثير من الأمور على وجوده ؛ منها كثرة الفسـاق الذين يظلمون الآخرين بسـبب الدينار، واشـمئزاز الإنسان البخيل من الذين ينزلون عليه ضيوفا، أو تفشي الحسد وما الى ذلك من الأمور المشينة، إذ عمد الحريري إلى تعداد سيئات الدينار والسلبيات التي تنشء في المجتمع نتيجة حبه رغم إقبال الناس عليه داعيا الى أن ينتبه الناس الى ذلك ويتوجوهوا إلى تركه وعدم المبالاة به.

وقد استخدم الحريري أسلوب الشرط حتى يظهر هذا التوجيه من خلال ذكر فعل الشرط وجوابه ؛ إذ قال موضحا لتلك الحقيقة:

ومَنْ	إذا	ناجاهُ	نَجْوَى	الوامِـقِ
قالَ	لَهُ	قَوْلَ	المُحِقّ	الـصّـادِقِ
لا	رَأْيَ	في	وَصْلِكَ	لي	ففارِقِ

(المقامة الدينارية)

ليصل الى حقيقة مفادها أن الإنسـان مهما اهتم بالدينار وأحبه إلا أن الدينار سـيقول له أخيرا أنه لا سـبيل لوصالـه ويطلب منه أن يفارقه ؛ إذ يدرك المخاطب أن هـذا الخطاب يؤدي في تأويله إلى فهمه علـى أنـه خطاب أمر من جهة أي (اترك الدينار) وخطاب نهي من جهة أخرى (لا تقترب من الدينار/ لا تحبّه).

الخاتمة والنتائج:

بعد أن أتممنا بعون الله تعالى فقرات بحثنا نود أن نعرج إلى أهم ماتوصلنا إليه من خلال قراءة فاحصة في المقامة الدينارية وفق العتبة التوجيهية في الدراسات التداولية ونبين أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث والتقصي:

إهتم الحريري في مقاماته وبخاصة (المقامة الدينارية) التي تم اختيارها نموذجا، إلى الجانب التوجيهي فضلا عن اهتمامه البالغ باللغة إذ كانت الغاية الأولى من إنشاء المقامات تعليم الناشئين اللغة.

أكد الحريري في المقامة الدينارية - التي تمت دراستها – على أن الهدف من المقامة كان توجيه المتلقي (القارئ / السامع) بعدم الاهتمام البالغ بالدينار ؛ وإن الدينار إنما هو ذو وجهين ويقدر الإنسان أن يستفيد منه في الخير كما يستطيع أن يستغله في الشر.

من الأدوات اللغوية التي خصت الحيز الكبير لنفسها في المقامة الدينارية خدمة للعتبة التوجيهية مجموعة من الأدوات هي: النداء، الاستفهام، الأمر، ذكر العواقب. إذ كانت أداة سحرية للسيطرة ولبيان ما كان يدور في ذهن الحريري على لسان شخصيات المقامة.

نجح الحريري في استثمار السمات اللغوية وعلاماتها في خطابه وجعلها رسالة تواصلية واضحة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. (١٩٩١م)، **شرح ابن عقيل**، بيروت: دار الفكر.

٢- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦ هـ)، (١٩٨٥م)، **التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، بيروت: مكتبة لبنان.

٣- الجوهر، محمد عامر فرج الله، (١٩٦٥ م)، **المقامات، أصلها ونشأتها**، بلا م. ط.

٤- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦ هـ)، (٢٠١٢ م)، **مقامات الحريري**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)، (١٩٧٧م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

٦- رشيد، ناظم، (١٩٨٩م)، **الأدب العربي في العصر العباسي**، بغداد: دار الشوون الثقافية العامة.

٧- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦ هـ)، (١٩٨٧م)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب

هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية.

٨- الشريشي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي (ت ٦١٩ هـ)، (١٩٦٩م)، **شرح مقامات الحريري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية.

٩- ابن ظافر الشهري، عبد الهادي، (٢٠٠٤ م)، **إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، بيروت: دار الكتاب الجديد.

١٠- عطية، محسن (٢٠٠٧ م)، **الأساليب النحوية**، ط١ عَمّان: دارالمناهج للنشر والتوزيع.

١١- عيدة، ناغش، (٢٠١٢ م)، **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية: في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية**، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر، كليةالأدب واللّغات، قسم الأدب العربيّ.

١٢- ابن علي، خلف الله، (٢٠١٧ م)، **التداولية مقدمة عامة**، مقال منشور في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، العدد ١، ص ٢٢١ ـ ٢٣٨.

١٣- كاظم، نادر، (٢٠٠٣ م)، **بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث**، البحرين: وزارة الإعلام والثقافة.

١٤- كيليطو، عبد الفتاح، (١٩٨٣م)، **الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

١٥- ــــــــــ، (١٩٩٣م)، **المقامات، السرد والأنساق الثقافية**، تر: عبد الكبير الشرقاوي، الدار البيضاء: دار توبقال.

١٦- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١ هـ)، (د. ت)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

١٧- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، (١٩٨٠م)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، ط ٣ بيروت: دار الفكر.